مذاهب العلماء في التقيّة

(تابع ما قبلهُ)

ان هذا النكال وهذا الاضطهاد اللذين لحقا بالشيعة كل هذه العصور هو الذي شهر اسمهم بالتقية حتى نقولت عليهم فيها الاقاويل فكرهها بعض انكارهين لهم حتى قال بعضهم ان التقية من اصول الدين عند الشيعة . وقد قال بعض افاضل[1] الباحثين في كلام لهُ عنوانهُ التقية « اما الشيعة فلهم في التقية تجوُّز لم تعرفهُ فرقة من المسلمين فيما احب فكما ارادوهُ تكلموا بهِ !!! فاذا قيل لهم ذلك ليس بحق وظهر لهم البطلان قالوا انما قلناهُ تقية وفعلناهُ تقية !!! هذا ما نقلهُ الشهرستاني في الملل والنحل وليس في الايدي كتاب من كتبهم نرجع اليهِ فيما قالوهُ هم في حقها . ولقد رأيت بعضهم يستعملون التقية في خلواتهم وجلواتهم فلا تجديهم الاَّ صغر النفوس وضياع الشيم والشرف على حين لا يضطرهم الى ذلك داعٍ ولا يرهبهم عليهِ حاكم ولا محكوم ولكن هي العادات يرضعها الابناء مع لبن الامهات فيتعذر الاقلاع عنها الاَّ بعد الاستغراق في نور العلم النافع والتربية الصحيحة » . انتهى

وقال بعض[2] العلماء الاعلام وانصف « وينقل عن الشيعة في ذلك امور مضطربة وخرافات مستغربة وقلما يسلم نقل المخالف من الغلط سيما اذا كان نقلهُ بالمعنى »

(المقتطف . وهنا ذكر الكاتب بعض ما ورد في التقية عند الشيعة وما افتى بهِ علماؤهم ومجتهدوهم في امرها فتركناهُ لطولهِ وضيق المقام ثم اورد بعض كلام للمفسرين في الآيات القرآنية الدالة على التقية قال : —)

على ان التقية في الحقيقة ليست خاصة بالشيعة من مذاهب المسلمين بل يقول بها كل مسلم الاَّ طائفة من الخوارج قالت بعدم صحتها مطلقاً ولكن المسلمون غير هذه الفرقة اطبقوا على صحتها وجواز العمل بها عند ظهور اسبابها وكيف يسع المسلم انكارها والقرآن الكريم مصرح بجوازها في عدة آيات منها قولهُ تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الاَّ ان تتقوا منهم تقاة (آل عمران ٢٨) وقولهُ تعالى من كفر بالله بعد ايمانهِ الاَّ من أُكره وقلبهُ مطمئن بالايمان (نحل ١٠٦)

---

(١) محمد افندي كردعلي م ٢ (٢) السيد رشيد رضا في التفسير المقتبس من دروس الامام محمد عبده

وقولهُ تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج (حج ٧٨) وقولهُ تعالى رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانهُ قال الخازن في تفسير الآية الاولى « ان الله نهى المؤمنين عن مداراة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الاَّ ان يكون الكفار غالبين ظاهرين او يكون المؤمن في قوم كفار فيداهنهم بلسانهِ وقلبهُ مطمئن بالايمان دفعاً عن نفسهِ من غير ان يستحل دماً حراماً او مالاً حراماً او غير ذلك من المحرمات او يظهر الكفار على عورات المسلمين . والتقية لا تكون الاَّ مع الخوف من القتل مع سلامة النية . ثم قال تعالى الاَّ من أُكره وقلبهُ مطمئن بالايمان . ثم ان التقية رخصة فلو صبر على اظهار ايمانهِ حتى قتل لكان لهُ بذلك اجر عظيم » ثم قال « قيل وانما تجوز التقية لصون النفس عن الضرر لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان »

وقال الفخر الرازي في تفسيرها « اعلم ان للتقية احكاماً كثيرة ونحن نذكر بعضها . الحكم الاول ان التقية انما تكون اذا كان الرجل في قوم كفار ويخاف منهم على نفسهِ ومالهِ فيداريهم باللسان وذلك بان لا يظهر العداوة باللسان بل يجوز لهُ ان يظهر الكلام الموهم للمحبة والموالاة ولكن بشرط ان يضمر خلافهُ وان يعرض في كل ما يقول فان التقية تأثيرها في الظاهر لا في احوال القلوب . الحكم الثاني للتقية هو انهُ لو افصح بالايمان والحق حيث يجوز لهُ التقية كان ذلك افضل . الحكم الثالث للتقية انها انما تجوز فيما يتعلق باظهار الموالاة والمعاداة وقد تجوز ايضاً فيما يتعلق باظهار الدين فاما ما يرجع ضررهُ الى الغير كالقتل والزنا وغصب الاموال وشهادة الزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة . الحكم الرابع ظاهر الآية يدل على ان التقية انما تحل مع الكفار الغالبين الاَّ ان مذهب الشافعي ان الحالة بين المسلمين اذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلَّت التقية محاماةً عن النفس . الحكم الخامس التقية جائزة لصون النفس وهل هي جائزة لصون المال يحتمل ان يحكم فيها بالجواز لقولهِ صلى الله عليهِ وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمهِ ولقولهِ صلوات الله عليهِ من قتل دون مالهِ فهو شهيد ولان الحاجة الى المال شديدة والماء اذا بيع بالنقد سقط فرض الوضوء وجاز الاقتصار على التيمم دفعاً لذلك القدر من نقصان المال فكيف لا يجوز هنا والله اعلم . الحكم السادس قال مجاهد هذا الحكم كان ثابتاً في اول الاسلام لاجل ضعف المؤمنين اما بعد قوة الاسلام فلا . وروي عن الحسن انهُ قال التقية جائزة للمؤمنين الى يوم القيامة وهذا القول اولى لان رفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان » . انتهى كلام الرازي

وفي النصائح الكافية للسيد محمد بن عقيل نقلاً عن الامام النيسابوري في تفسير الاية مثل كلام الرازي حرفاً بحرف ثم عقب عليه صاحب النصائح بقوله « اتفق اصحابنا على جواز الكذب عند الضرورة بل وللمصلحة وهو عين التقية لكن ان عبَّرت عنهُ بلفظ التقية منعهُ كثير منهم لكونهِ من تعبيرات الشيعة فالخلاف لفظي فيما يظهر والله اعلم »

وقال الامام الرازي عند تفسير الآية الثانية (الا من اكره وقلبهُ مطمئن بالايمان) مانصهُ « المسئلة الثانية اجمعوا انهُ لا يجب عليهِ التكلم بالكفر · يدل عليهِ وجوه احدها اننا روينا ان بلالاً صبرَ على العذاب وكان يقول احد احد وروى ان اناساً من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيهِ وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانهِ مع ان قلبهُ كان مصرًّا على الايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب و بلال وضباب وسالم عذبوا فاما سمية · · · فقتلت · · · وقتل ياسر وهما اول قتيلين قتلا في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانهِ مكرهاً فقيل يا رسول الله ان عماراً كفر فقال كلاَّ ان عماراً ملئ ايماناً من فرقهِ الى قدمهِ واختلط الايمان بلحمهِ ودمهِ · فاتى عمار الى الرسول وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليهِ وسلم يمسح عينيهِ ويقول مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت · ومنهم جبر الحضرمي اكرههُ سيدهُ على الكفر فكفر ثم اسلم مولاهُ واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا

« المسئلة الثالثة قولهُ الاَّ من اكره ليس باستثناء لان المكره ليس بكافر فلا يصح استثناؤهُ من الكافر لكن المكره لما ظهر منهُ بعد الايمان ما مثلهُ يظهر من الكافر طوعاً صح الاستثناء لهذه المشاكلة

« المسألة الرابعة يجب هنا بيان الاكراه الذي يجوز عندهُ التلفظ بكلمة الكفر وهو ان يعذبهُ بعذاب لا طاقة لهُ بهِ مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والابلامات القوية »

قال مجاهد اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليهِ وسلم وابو بكر وخباب وصهيب و بلال وعمار وسمية · اما الرسول فمنعهُ عمهُ ابو طالب واما ابو بكر فمنعهُ قومهُ واخذ الآخرون فالبسوا دروع الحديد ثم اجلسوا في الشمس فبلغ منهم الجهد بحرّ الحديد والشمس واتاهم ابو جهل يشتمهم ويوبخهم و يشتم سمية ثم طعنها بحربة · وقال الآخرون ما نالوا غير بلال فانهم جعلوا يعذبونهُ حتى ملوا فتركوهُ قال عمار كنا نتكلم بالذي اراد غير بلال فهانت عليهِ نفسهُ فتركوهُ · قال خباب لقد اوقدوا لي ناراً ما اطفأها الاَّ ودك ظهري (الخ) وقال في مجمع البيان وقيل نزلت في جماعة اكرهوا وهم عمار وياسر ابوهُ ثم ساق القصة على نحو ما ذكرها الرازي ثم قال والحديث عن ابن عباس وقتادة · وقيل نزلت في ناس من اهل مكة امنوا وخرجوا

يريدون المدينة قادرهم قريش وقتلوهم فتكلموا بكلمة الكفر كارهين والحديث عن عاهد كل اقوال المفسرين في هذه الآيات تدل على جواز كتم الحق اذا خاف المرء على نفسه فلا بأس بيده في التهلكة . وما جعل عليكم في الدين من حرج . بل قد صرّح العلماء بعدم مؤاخذة المكره على الكفر اذا اطمأن قلبهُ بالايمان كما تقدم الكلام فيها

عمل بالتقيّة جماعة من العلماء الاعلام والائمة من غير الشيعة بلا نكير . وقد روى المؤرخون انهُ لما اشتد الخليفة المأمون ابن الرشيد على القضاة والمحدثين في بغداد في القول بخلق القرآن كتب من الرقة الى اسحق بن ابرهيم في بغداد بان يمتحنهم في ذلك فمن قال ان القرآن مخلوق شهر امرهُ وكشف مقالتهُ للناس ومن ابى اشخصهُ اليهِ ليرى فيهِ رأيهُ فاذا لم يرَ منهُ ما يرضي عرضهُ على السيف . فكان فيمن أحضر بشر بن الوليد الكندي وابراهيم ابن مهدي وعلي بن ابي مقاتل وابو حسان الزيادي واحمد بن حنبل وعلي بن الجعد والنضر ابن شميل وكثير غيرهم من اعلام بغداد فاستنطقتهم فذهبوا الى التورية والمداراة ولم يصرّحوا بارائهم والقوا بأسهُ فكتب ما قالوهُ الى المأمون فاتاهُ الجواب بان يحملهم على التصريح في الاقرار بخلق القرآن وان يضرب عنق بعضهم ويشخص اليهِ بالبعض الآخر ان ابوا فاحضرهم اليهِ وامتحنهم فصرّحوا جميعاً بخلق القرآن الاَّ الامام احمد بن حنبل ومحمد بن نوح فانهما ورّيا ولم يصرحا فشدهما ووجههما الى طرسوس

فانظر كيف اضطرّ جمع المحدثين والفقهاء وهم اعلام السنة في مدينة العلم وحاضرة الاسلام بغداد الى التقية واظهار غير ما يعتقدون تصريحاً محتجين بالآيات فقد ذكر الطبري ان بشر بن الوليد اخذ بآية « الاَّ من أكره وقلبهُ مطمئن بالايمان »

ان ذاك العصر حقّ لهُ ان يدعى عصر التقية فقد اشتغل فيهِ الخلفاء العباسيون من زمن المنصور الى ما بعد دولة المعتز بالامور الدينية والسيطرة على الاعتقاد وكان ما نال الائمة الاثني عشر من اهل البيت واتباعهم هو النصيب الاكبر . وقد استمر مريرهُ ودامت اسبابهُ فقضى مَن كان منهم بعد جعفر بن محمد يعيدين عن موطنهم واحبّ البلاد اليهم (مدينة جدهم) في اعتقال الخلفاء فكانت بغداد قبراً للامامين موسى بن جعفر ومحمد بن علي التقي وخراسان قبراً للامام علي بن موسى الرضا وسرّ من رأى قبراً للامامين علي بن محمد التقي وابي محمد الحسن العسكري ثم بُلي هؤلاء الائمة الكرام من اهلهم وذويهم بمن يدّعي الامامة دونهم وليس لهم فيها كلمة تسمع فاتخذوا السعاية والوشاية الى الولاة والخلفاء وسيلة للانتقام فكان من ذلك البلاء العظيم

على كثرة التكتم وشدة الاحتفاظ كان عدد الشيعة يزداد نموًّا حتى اذا ملك البويهيون بغداد والحمدانيون الشام والفاطميون مصر والمغرب ظهر امر الشيعة وبرزوا من زوايا التكتم وتلك نعمة عليهم ولم يمتد امرها اكثر من قرنين ثم عادت بعد ذهاب هذه الدول الى ما كانت عليه وقد تقدم الكلام منا في ذلك احمد رضا

مثلث الشر والدمار

المنكر

يروى عن العلامة الشهير المرحوم الدكتور فانديك انهُ قال «امرّ ما يلقاهُ الشرقي المتعلم انهُ يرى وطنهُ خرابًا فلا يقدر ان يصلحهُ ولا يستطيع السكوت عنهُ» وهل في الارض كلها آلة جهنمية اقوى على تخريب الوطن وتدميره من البعاث جانب كبير من شبانهِ في طريق الاثم والدعارة؟ حقًّا ان هذا من شر آفات خرابهِ ودمارهِ واكبر الادوات العاملة على دك جدرانهِ وتقويض اركانهِ ومحو معالم عمرانهِ . وكل اصلاح يعنى بهِ الوالدون في البيوت والاساتذة في المدارس ورجال الدين في المعابد والمساجد ويقضون ايامًا وشهورًا في حث الاولاد عليهِ وتشويق الاحداث اليهِ تفسدهُ الحانات وبيوت المنكر في ساعات . وشرُّ ما يبتلى بهِ الانسان في هذه الحياة الدنيا ويتعذر عليهِ الصبر والجلد انهُ يرزق ولدًا يراهُ أعز عليهِ حتى من نفسهِ فيجعل حياتهُ بأسرها وقفًا على تنشئتهِ وتربيتهِ وينفق سواد عينيهِ وسويداء قلبهِ على تعليمهِ وتهذيبهِ ويقضي الشهور والسنين على تدريبهِ على السير في سنن البر وسبيل الطهر والعفاف حتى اذا بلغ اشدهُ واستوفى فسطهُ من التهذيب وزان جمالهُ الفائق علم رائق وادب شائق وخرج للسعي والعمل لقيهُ احد زبانية الاثم وزين لهُ الذهاب ان حيث يعاب طهرهُ وعفافهُ بما يرتق نقاءهُ ويكدر صفاءهُ ولا يلبث ان يستحيل ذلك الملك الكريم الى شيطان رجيم . فيهجر مربعًا شب فيهِ وفا وينبذ بيتًا كان للطهر مرتعًا وللصلاح معملاً وابًا وامًّا واخوة كانوا لدائهِ دواء ولجراحهِ بلسمًا ويطلق ما ربا عليهِ من الحشمة والحياء ويقع في حبالة من اغرتهُ بجمال كاذب وأغوتهُ بحب خالب حتى اذا استنفدت مالهُ جزافًا واستنزفت قواهُ استنزافًا واصبح جيبهُ افرغ من رأسهِ وجسمهُ اسقم من ادبهِ قذفت بهِ وجنح الليل ادكن اللمم وقالت لهُ «الى حيث القت رحلها ام قشعم»

ومما يغيظك ويبالغ في نكايتك انك تجد في قوانين الحكومات كلها نصًّا صريحًا على وجوب الاقتصاص ممن يسلبك رغيف خبز ليسد بهِ جوعهُ ولن تجد فيها بابًا لمعاقبة من